

الأيام المستحب صيامها

كان رسول الله ﷺ، يصوم خلال العام كثيراً من الأيام، وكان يصوم الأيام تلو الأيام حتى يقولوا لن يفطر، وأحياناً يواصل الإفطار حتى يقولوا لن يصوم وكان النبي ﷺ يواصل الصيام - أحياناً - دون أن يأكل، ولكنه ﷺ منع أصحابه رضوان الله عليهم، من أن يفعلوا مثله - في مواصلة الصيام - لأنهم ليسوا في مقدرتهم، وذكر لهم أن الله يطعمه ويسقيه، فلا يجب عليهم أن يحملوا أنفسهم فوق طاقتهم، بل إنه ﷺ حثهم على تعجيل الفطر، وذكر لهم أنه خير من تأخيره.

وهناك أيام معينة كان يصومها رسول الله ﷺ ويحرص عليها، ويأمر أصحابه بصيامها، كما حثهم على كثرة الصيام في أشهر معينة من أشهر السنة، إلا أن كثيراً من الناس يفقلون عن ذلك، ويمجرد الانتهاء من صوم شهر رمضان، يتفلسفون الصعداء، لانتهائهم من صوم شهر بأكمله، ويضعون في حساباتهم عدم الصيام مرة أخرى إلا عند حلول شهر رمضان القادم، اعتقاداً منهم أنه بانتهاء شهر رمضان انتهى الصيام، ولا يتبقى من أركان الدين، إلا الصلاة والزكاة وكذلك الحج إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

صحيح أن الصوم المفروض من الله ﷻ، هو صوم شهر رمضان إنما علينا الاقتداء برسول الله ﷺ، لأنه لا يفعل إلا الخير، ولا يأمرنا إلا بالصواب وبما فيه نفعنا ومصالحنا.

وسنتناول فيما يلي الأيام والشهور التي كان يصومها رسول الله ﷺ، وحث أصحابه بصيامها، لنقتدي به ﷺ وبهم رضوان الله عليهم، رغبة منا في اكتساب الأجر والثواب، واللحاق بهم

في جنة الخلد ، والفوز برضوان الله ﷻ.

١- صوم ثلاثة أيام من كل شهر:

صوم شهر رمضان فريضة على كل مسلم ، فهو ركن من أركان الإسلام وله أهمية خاصة ، لأنه يساعد الإنسان على تحريره من تحكم عاداته ، ويعوده على القرب إلى الله بإتيان أوامره واجتناب نواهيه ، وكثير من الناس بانتهاء شهر رمضان ، يعتقد أنه قد أدى ما عليه من صيام في هذا الشهر الكريم وأنه لا حرج عليه في أن يفطر بقية العام ، لأنها أشهر إقطار وليس فيها صوم ، أو أن صيام الرسول ﷺ بعض الأيام خلال الأشهر الأخرى من العام وخاصة الأشهر الحرم ، شيء خاص به ﷺ.

لكن من يطلع على أحاديث الرسول ﷺ ، يجد أمرًا لأصحابه بصوم أيام معينة ، وحصًا على الإكثار من الصيام في أشهر معينة ، ومن ذلك الأحاديث النبوية التي توصي بصوم ثلاثة أيام من كل شهر ، ومن ذلك :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
«صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله»^(١).

وفي رواية للنسائي : «من صام ثلاثة أيام من كل شهر ، فقد تم صوم الشهر» ، أو «قله صوم الشهر».

وفي رواية أخرى : «إذا صمت من الشهر ثلاثة : ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة أي في أيام ١٣ ، ١٤ ، ١٥ الأيام البيض»^(٢).

(١) متفق عليه.

(٢) مختصر الترغيب والترهيب صفحتي ٨٠ ، ٨١ باب الترغيب في صوم ثلاثة أيام من كل شهر سيما الأيام البيض.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أرقد»^(١).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصوم من الشهر ثلاثة أيام: ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة^(٢).

وروى النسائي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لإعرابي: «كل» قال: إني صائم. قال: «صوم ماذا؟» قال صوم ثلاثة أيام من الشهر. قال: «إن كنت صائماً فعليك بالغر البيض»^(٣): ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة^(٤).

فالصيام لا خلاف على فوائده الدينية والدنيوية، يقول الله تعالى:

﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٣﴾﴾

إنما ينبغي التنبه لأهمية صيام أيام معينة كل شهر، أو الإكثار من الصيام في أشهر معينة، ورد استحبابها والحث عليها، من معلم البشرية وسيد الأنبياء وخاتم المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن هذه الأيام المستحب صيامها، ثلاثة أيام متتالية في منتصف الشهر الهجري.

وقد تكون هذه الثلاثة أيام لها فضل خاص أو ميزة على سائر أيام الشهر، لذا تم الحث على صيامها، وقد تكون أفضلها عند الله صلى الله عليه وسلم، لما ورد في كثير من الأحاديث النبوية عن البركة في وسط الشيء، مثلما ورد أن البركة في وسط الطعام أو الحث على المحافظة على

(١) متفق عليه. مختصر الترغيب والترهيب ص ٥٠ باب الترغيب في صلاة الضحى.

(٢) سبل السلام ج ٢ ص ٦٧٤ رواه النسائي والترمذي وابن جبان.

(٣) سميت أيام البيض: لابيضاض ليلها كله بالقمر، والتقدير: أيام الليالي البيض. وقيل: إن الله تاب على آدم فيها وبيض صحيفته. ذكره أبو الحسن التميمي (المعنى لابن قدامة ج ٤ ص ٤٤٦).

(٤) رواه النسائي في باب كيف يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، من كتاب الصيام. كما أخرجه

الإمام أحمد في المسند ٢/٣٣٦، ٣٤٦.

الصلاة الوسطى لأفضليتها ، إلى غير ذلك من النصوص التي تؤكد استحباب التوسط في كثير من الأمور.

فصيام يومي الاثنين والخميس تأسيساً برسول الله ﷺ مستحب ، اقتداءً بالرسول الكريم وطاعة لأوامره ، الذي سئل ﷺ عن سبب صومه في هذين اليومين فقال: «ذاك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين ، وأحب أن يعرض عملي وأنا صائم»^(١).

فصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وبخاصة الأيام البيض التي تقع في منتصف الشهر العربي فيه خير كثير ، لأنه ليس صيام يوم واحد ثم يعود الشخص إلى فطره في اليوم التالي ، ثم ينتظر يوماً آخر أو يومين حتى يصوم مرة أخرى ، بل هو صوم ثلاثة أيام متتالية يوماً إثر يوم ، مما يؤتي بثماره الطيبة ، وتأثيره على حالة الصائم من ترقيق النفس وتعويدها على طاعة الله واجتناب النواهي لأن الشخص في أيام فطره ، قد يصرف نظره سريعاً عن نظرة محرمة أو قد يبتعد عن شرب المياه ، أو يسارع بالعفو عن المخطئ . بحكم تعوده فعل ذلك أثناء الصيام محافظة على صيامه.

وهكذا تبدو فائدة صيام ثلاثة أيام متتابة ، فالصبر والمثابرة والمداومة عليها عمل طيب فيه خير كثير ، ويعود على مداومة الحرص على أداء باقي الفرائض والأوامر التي أتى بها الشرع الإسلامي الحنيف.

وتبدو أهمية صوم ثلاثة أيام ، فيما ورد في الآية ٨٩ من سورة المائدة التي بينت ما يجب أدائه لكفارة اليمين ، وقد شملت الكفارة أموراً مالية كإطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة ، سواء بشرائها ثم عتقها أو يعتق عبداً مملوكاً فعلاً ، فإن لم يتيسر أي

(١) أخرجه أحمد والنسائي من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه. إتحاف أهل الإسلام بخصوصيات الصيام لأحمد بن حجر الهيتمي المعتمد صمحتي ١٦٨ ، ١٦٩.

من هذه الأمور لعدم القدرة المالية، أو عدم تيسر المناخ الذي يسمح بذلك، كان هناك مخرج آخر يقوى جانب الخير في نفس الشخص ألا وهو صيام ثلاثة أيام كفارة لليمين، زجرًا له عن كثرة الحلف، وتحفزه للوفاء باليمين أو بعدم الحلف كذبًا.

وفي ذلك يقول الله ﷻ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ، وَإِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتُمْهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون﴾ (٨٩) ﴿١١﴾.

وهكذا تبدوا أيضًا أهمية أخرى للصيام، بتكراره ثلاثة أيام متفرقة في كل شهر، أو ثلاثة أيام متتالية في منتصف الشهر الهجري لتعويد المرء على الصيام والصبر والمداومة على الطيبات من الأعمال واجتناب ما ينهى الله ﷻ عنه ورسوله الكريم ﷺ ومن اعتاد الطاعات، صار أداؤها عليه سهلاً هيناً وبذلك يتكرر أداء الفرائض والنوافل والطاعات مما يؤدي إلى الفوز في الحياة الدنيا والآخرة^(١).

٢- يوم عاشوراء:

عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أن قريشاً كانت تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية، ثم أمر رسول الله ﷺ بصيامه حتى فرض رمضان، وقال رسول الله ﷺ: «من شاء فليصمه ومن شاء أفطر»^(٢).

وعن حميد بن عبد الرحمن، أنه سمع معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُما،

(١) المائدة/٨٩.

(٢) بتصرف من أسرار العديدين ٢، ٧ في القرآن والسنة للمؤلف من ص ٧٤ إلى ٧٨.

(٣) اللؤلؤ والمرجان ج ٢ ص ١٥. أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب وجوب صوم رمضان.

يومَ عاشوراء، - عام حجّ - على المنبر يقول: يا أهل المدينة (أين علماءكم؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هذا يوم عاشوراء، ولم يكتب عليكم صيامه، وأنا صائم، فمن شاء فليصم ومن شاء فليقطر»^(١)).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي ﷺ المدينة، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: «ما هذا؟» قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، قال: «أنا أحق بموسى منكم» فصامه وأمر بصيامه^(٢).

وعن حفصة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «اربع ثم يدعهن رسول الله ﷺ: صيام عاشوراء والعشر وثلاثة أيام من كل شهر...»^(٣).

وعن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، سئل عن صوم يوم عرفة، فقال: «يكفر السنة الماضية والباقية» وسئل عن صوم يوم عاشوراء فقال: «يكفر السنة الماضية...»^(٤).

من الأحاديث النبوية السابقة يتضح أن صوم يوم عاشوراء كان واجباً قبل أن يفرض شهر رمضان ثم صار بعد ذلك مستحباً، لمواظبة رسول الله ﷺ على صيامه، وحثه الغير على صيامه، وأن صومه يكفر ذنوب السنة الماضية.

وقد ذكر العلماء أن صيام يوم عاشوراء على ثلاثة مراتب^(٥):

المرتبة الأولى: صوم ثلاثة أيام: التاسع، والعاشر، والحادي عشر.

المرتبة الثانية: صوم التاسع والعاشر.

المرتبة الثالثة: صوم العاشر وحده.

(١) المرجع السابق - أخرجه البخاري في كتاب الصوم - باب صيام يوم عاشوراء.

(٢) المرجع السابق - أخرجه البخاري في كتاب الصوم - باب صيام يوم عاشوراء.

(٣) رواه أحمد والنسائي.

(٤) سبل السلام ج ٢ ص ٦١ - رواه مسلم.

(٥) فقه السنة - السيد سابق ج ١ ص ٣٤١.

وحرص رسول الله ﷺ على صيام عاشوراء فيه دلالة على أنه ينبغي تعظيم اليوم الذي أحدث الله فيه على عبده نعمة بصومه والتقرب فيه^(١).

٣- يوما الاثنين والخميس:

- عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أن النبي ﷺ كان يتحرى صيام الاثنين والخميس^(٢).

- عن أسامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يصوم الأيام يسردها حتى نقول: لا يفطر، ويفطر الأيام حتى نقول لا يصوم إلا يومين من الجمعة، إن كان في صيامه إلا صامهما، ولم يكن يصوم من الشهر ما يصوم من شعبان، قلت: يا رسول الله.. إنك تصوم لا تكاد تفطر وتقطر لا تكاد تصوم إلا يومين، إن دخلا في صيامك وإلا صمتها، قال: (أي يومين؟) قلت: يوم الاثنين ويوم الخميس. قال: «ذاتك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين، وأحب أن يعرض عملي وأنا صائم»^(٣).

- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنه ﷺ قال: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم»^(٤).

- وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أنه ﷺ كان يتحرى صيام الاثنين والخميس^(٥).

- وعن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يصوم الاثنين والخميس. وقال: «إن يوم الاثنين والخميس يغفر الله فيهما لكل مسلم إلا

(١) سبل السلام ج ٢ ص ٦٧١.

(٢) رواه الخمسة إلا أبا داود.

(٣) رواه النسائي وأحمد.

(٤) رواه الترمذي.

(٥) رواه النسائي. الترمذي، ابن ماجه، وأحمد.

متهاجرين، يقول: دعوها حتى يصطلحا^(١).

- وعن قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن أعرابياً سأل النبي ﷺ عن صوم يوم الاثنين فقال: «ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت فيه، ويوم أنزل عليّ فيه»^(٢).

- عن أبي هريرة: أنه ﷺ قال: «تفتح أبواب الجنة يوم الخميس، ويوم الاثنين، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، يقال: انظروا هذين حتى يصطلحا»^(٣).

٤- ستة أيام من شهر شوال:

شهر شوال هو الذي يلي شهر رمضان مباشرة، وقد قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان، ثم أتبعه بست من شوال فذاك صيام الدهر» رواه الجماعة إلا البخاري والنسائي.

وعن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر»^(٤).

وتأكيداً لما ورد في هذا الحديث، قول الله ﷻ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٥).

فمن يصوم شهر رمضان ٢٩ أو ٣٠ يوماً ثم يتبعه ستة أيام من شوال يكون قد صام ٣٥ أو ٣٦ يوماً خلال شهري رمضان المبارك وشوال، وبمضاعفة ثواب صيام هذه الأيام وفقاً لما ذكره الله ﷻ.

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) رواه مسلم وأحمد.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

(٥) الأنعام/١٦٠

فيكون من صام هذه الأيام كمن صام عاماً بأكمله^(١).

فمن فضل الله ﷺ وإحسانه، أنه يضاعف الحسنات، (فمن جاء بشهادة أن لا إله إلا الله فله بكل عمل عمله في الدنيا من الخير عشرة أمثاله من الثواب... وفي الخبر «الحسنة بعشر أمثالها وأزيد والسيئة واحدة وأغفر» فالويل لمن غلبت آحاده أعشاره)^(٢).

٥- صوم يوم عرفة:

قال رسول الله ﷺ: «صيام يوم عرفة احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده.....»^(٣).

وقد ذكر أحمد بن حنبل في مسنده (الحديث فيه دليل على أن يوم عرفة أفضل الأيام، لأن صيامه يكفر ذنوب سنتين، ويخبر مسلم: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه من النار من يوم عرفة»، وقال ابن عباس: وفي الحديث بشرى بحياة سنة مستقبلة لمن صامه، إذ هو ﷺ بشر بكفارتها، فدل لصائمه على الحياة فيها، وهو ﷺ لا ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى)^(٤).

كما أن حديث الرسول ﷺ بالحث على الإكثار من العمل الصالح في عشرين يوم الحج، يشمل أيضاً يوم عرفة وذلك في قوله ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله منه في هذه الأيام العشر

(١) إذ أن العام الهجري ٢٥٤ يوماً.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ١٥١، قال بعض العلماء: العشر لسائر الحسنات، والسبعمان للنفقة في سبيل الله لقول الله ﷻ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْعَمَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ بِأَتَّةٍ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُمْضِعُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

البقرة/ ٢٦١

(٣) صحيح مسلم ج ٢ ص ٨١٩.

(٤) الصيام ص ١٥٥

قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء»^(١).

٦- الصيام.. والأشهر الحرم.. والأشهر الفاضلة:

التطوع بالصيام خلال العام، من هدى الرسول ﷺ وبخاصة خلال الأشهر الحرم، والأشهر التي وردت بفضلها أحاديث نبوية عن الرسول ﷺ فيستحب الإكثار من الصيام في الأشهر الحرم وهي:

(ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب)

وكان ﷺ يصوم حتى يقال لا يفطر، ويفطر حتى يقال لا يصوم، وما استكمل صيام شهر غير رمضان وما كان يصوم في شهر أكثر مما يصوم في شعبان، ولم يخرج عنه شهر حتى يصوم منه، ولم يصم الثلاثة أشهر سرداً كما يفعله بعض الناس، ولا صام رجب قط، ولا استحب صيامه، بل روى عنه النهي عن صيامه (ذكره ابن ماجه)^(٢).
«وجميع الأشهر الحرم فطان الصوم، وهي أوقات فاضلة وكان رسول الله ﷺ يكثر صوم شعبان حتى كان يظن أنه في رمضان».

وفي الخبر: «أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم» لأنه ابتداء السنة، فبناؤها على الخير أحب وأرجى لدوام بركته».

وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاهى بشهر رمضان. فالأشهر الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان، والأشهر الحرم: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، واحد فرد وثلاثة سرد. وأفضلها ذو الحجة لأن فيه الحج والأيام المعلومات والمعدودات

(١) روى الترمذي وابن ماجه في باب الصوم، كما جاء مسند أحمد بن حنبل المعجم المفهرس

لأنفاذ الحديث النبوي ج١ ص ٢١٥.

(٢) فقه السنة - السيد سابق ج١ ص ٢٤٢.

وذو القعدة من الأشهر الحرم وهو من أشهر الحج، وشوال من أشهر الحج وليس من الحرم، والمحرم ورجب ليس من أشهر الحج^(١).

٧- شهر شعبان وليلة النصف منه:

شهر شعبان المكرم^(٢) من الأشهر التي وردت فيها أحاديث نبوية كثيرة تبين فضلها وشرفها عند الله تعالى، وأن لها منزلة خاصة.

والأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في شهر شعبان تنقسم من حيث موضوعها إلى ثلاثة أقسام:

١- أحاديث تبين أن الرسول ﷺ كان يحب الصوم كثيراً في شهر شعبان وأنه كان يصوم الشهر كله، ويوصله برمضان.

٢- أحاديث أخرى تنهى عن الصوم في النصف الثاني من شعبان.

٣- أحاديث تنهى أن يتقدم رمضان بصوم، إلا من صام صوماً فوافقه.

٤- أحاديث تؤكد فضل ليلة النصف من شعبان وتدعو إلى قيام ليلاً وصوم نهارها.

ونتكلم عن كل قسم من هذه الأقسام تفصيلاً فيما يلي:

الأحاديث التي تدعو إلى كثرة الصوم في شهر شعبان

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، فما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان وما رأته أكثر صياماً منه في

(١) إحياء علوم الدين، ج ٢ ص ٤٢١ في التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه.

(٢) سمي شعبان لتشعبهم في طلب المياه أو الغارات بعد أن يخرج شهر رجب الحرام وقيل فيه غير

ذلك، فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر المسقلاني ج ٤ ص ٤٤.

شعبان^(١).

- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لم يكن النبي ﷺ يصوم شهراً أكثر من شعبان، وكان يصوم شعبان كله، وكان يقول: خذوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يعل حتى تملوا، وأحب الصلاة إلى النبي ﷺ ما دووم عليها وإن قلت: وكان إذا صلى صلاة داوم عليها^(٢).

- عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «ما صام النبي ﷺ شهراً كاملاً قط غير رمضان، ويصوم حتى يقول القائل: لا والله لا يفطر، ويفطر حتى يقول القائل: لا والله لا يصوم»^(٣).

- ورد في سنن ابن ماجه أن رسول الله ﷺ: «كان يصوم شعبان إلا قليلاً»^(٤).

- ورد في مسند أحمد بن حنبل، أن رسول الله ﷺ:

«لم يكن يصوم من شهر من الشهور ما يصوم من شعبان»^(٥).

«... وكان أحب الصوم إليه في شعبان»^(٦).

- عن أبي سلمة عن أم سلمة: قالت: كان رسول الله ﷺ يصل شعبان برمضان^(٧).

- عن ربيعة بن الغائر: أنه سأل عائشة، عن صيام رسول الله ﷺ فقالت: كان يصوم شعبان كله حتى يصله برمضان.

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج ٩ ص ٤٤ والحديث رواه مسلم وأبو

داود والترمذي وابن ماجه والموطأ في باب الصيام ج ٩ ص ٤٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق ج ٩ ص ٤٧.

(٤) المعجم ج ٢ ص ١٣، صيام / ٢٠.

(٥) المعجم ج ٢ ص ١٣٤ الصيام / ٥.

(٦) المعجم ج ٢ ص ١٣٤ الصيام / ٥.

(٧) رواه ابن ماجه ج ١ ص ٥٢٨ باب ما جاء في وصال شعبان برمضان.

الأحاديث التي تنهى عن الصوم في النصف الثاني من شعبان

- «إذا انتصف شعبان فلا تصوموا»^(١)

- «إذا بقى نصف من شعبان فلا تصوموا» وفي رواية أخرى: «إذا كان النصف من شعبان فأمسكوا عن الصوم»^(٢).

- عن أبي هريرة؛ قال: رسول الله ﷺ: «إذا كان النصف من شعبان، فلا صوم حتى يجيء رمضان»^(٣).

وجاء في كتاب «سبل السلام شرح بلوغ الحرام من جميع أدلة الأحكام»^(٤)، أنه «ذهب بعض العلماء إلى أن النهي عن الصوم بعد النصف الأول من يوم السادس عشر من شعبان لحديث أبي هريرة مرفوعاً: «إذا انتصف شعبان فلا تصوموا» أخرجه أصحاب السنن وغيرهم، وقيل إنه يكره بعد الانتصاف، ويحرم قبل رمضان بيوم أو يومين، وقال آخرون يجوز بعد انتصافه ويحرم قبله بيوم أو يومين، وذكر في موضع آخر رأيه في ذلك فقال^(٥): «إن الحديث دليل على النهي عن الصوم في شعبان بعد انتصافه ولكنه مقيد بحديث (إلا أن يوافق صوماً معتاداً) كما تقدم، واختلف العلماء في ذلك فذهب كثير من الشافعية إلى التحريم لهذا النهي وقيل إنه يكره إلا قبل رمضان بيوم أو يومين فإنه محرم وقيل لا يكره وقيل إنه مندوب، وأن الحديث مؤول بمن يضعفه، وكانهم استدلوا بحديث «أنه ﷺ (كان يصل شعبان برمضان) ولا يخفى أنه إذا تعارض القول والفعل كان القول مقدماً».

(١) رواه أبو داود في باب الصوم «المعجم ج٢ ص ١٢٢».

(٢) رواه الترمذي في كتاب الصوم باب ما جاء في كراهية الصوم في النصف الثاني من شعبان المعجم ج٢ ص ١٢٢ والحديث رواه ابن ماجه والدارمي في باب الصوم.

(٣) رواه ابن ماجه ج١ ص ٥٢٨ باب ما جاء في النهي أن يتقدم رمضان بصوم.

(٤) ج٢ ص ٦٤٢.

(٥) ج٢ ص ٦٧٨.

الأحاديث التي تنهي أن يتقدم رمضان بصوم إلا من صام صومًا فوافقه
- عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تقدموا صيام رمضان بيوم ولا يومين. إلا رجل كان يصوم صومًا
فيصومه»^(١).

- عن صلة بن زفر قال: كنا عند عمار، في اليوم الذي يشك فيه،
فأتى بشاه ففتح بعض القوم. فقال عمار: من صام هذا اليوم فقد
عصى أبا القاسم ﷺ^(٢).

- عن أبي هريرة؛ نهى رسول الله ﷺ عن تعجيل صوم يوم قبل
الرؤية^(٣).

- عن عمران بن حصين رَمَى اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَأَلَهُ أَوْ سَأَلَ رَجُلًا
وعمران يسمع فقال: يا أبا فلان، أما صمت سرر^(٤) هذا الشهر؟
قال: أظنه قال: يعني رمضان، قال الرجل: لا يا رسول الله، قال:
فإذا أفطرت فصم يومين. وقال ثابت، عن مطرف، عن عمران،
عن النبي ﷺ: من سرر شعبان^(٥).

قال أبو عبيد والجمهور: المراد بالسرر هنا آخر الشهر سميت
بذلك لاستسرار القمر فيها وهي ليلة ثمان وعشرين وتسع وعشرين
وثلاثين، ونقل أبو داود عن الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز أن سرره
أوله، ونقل الخطابي عن الأوزاعي كالجمهور وقيل السرر وسط
الشهر حكاه أبو داود أيضًا، ورجحه بأن السرر جمع سررة وسرة

(١) رواه ابن ماجه ج١ ص٥٢٨ باب ما جاء في النهي أن يتقدم رمضان بصوم.

(٢) رواه ابن ماجه ج١ ص٥٢٧ باب ما جاء في صيام يوم الشك.

(٣) رواه ابن ماجه ج١ ص٥٢٧ باب ما جاء في صيام يوم الشك.

(٤) السرر. بفتح السين المهملة ويجوز كسرها وضمها جمع سررة، ويقال أيضًا سرار بفتح اوله
وكسرها ورجح الفراء الفتح وهو من الاستسرار.

(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج٩ صفحتي ٦٤، ٦٥ باب الصوم من آخر الشهر.

الشيء وسطه ، ويؤيده النذب إلى صيام البيض وهي وسط الشهر وأنه لم يرد في صيام آخر الشهر نذب ، بل ورد فيه نهى خاص وهو آخر شعبان لمن صامه لأجل رمضان.

وقال آخرون: فيه دليل على أن النهي عن تقدم رمضان بيوم أو يومين ، إنما هو لمن يقصد به التحري لأجل رمضان ، وأما من لم يقصد ذلك فلا يتأوله النهي ولو لم يكن اعتاده وهو خلاف ظاهر حديث النهي لأنه لم يستثن منه إلا من كانت له عادة ، وأشار القرطبي إلى أن الحامل لمن حمل سرر هذا الشهر على غير ظاهره وهو آخر الشهر الفرار من المعارضة لنهيه ﷺ عن تقدم رمضان بيوم أو يومين. وقال الجمع بين الحديثين ممكن بحمل النهي على من ليست له عادة بذلك ، وحمل الأمر على من له عادة حملاً للمخاطب بذلك على ملازمة عادة الخير حتى لا يقطع.

قال: وفيه إشارة إلى فضيلة الصوم في شعبان ، وأن صوم يوم منه يعدل صيام يومين من غيره أخذاً من قوله في الحديث «فصم يومين مكانه» يعني مكان اليوم الذي فوته من صيام شعبان.

قلت: «أي الإمام النسوي» وهذا لا يتم إلا إن كانت عادة المخاطب بذلك أن يصوم من شعبان يوماً واحداً ، وإلا فقوله هل صمت من سرر هذا الشهر شيئاً أعم من أن يكون عادته صيام يوم منه أو أكثر ، نعم وقع في سنن أبي مسلم: «فصم مكان ذلك اليوم يومين».

وفي الحديث مشروعية قضاء التطوع وقد يؤخذ منه قضاء الفرض بطريق الأولى ، خلافاً لمن منع ذلك.

الأحاديث الدالة على فضل ليلة النصف من شعبان وتدعو إلى قيام
ليلها وصوم نهارها

- عن ابن أبي يسره، عن إبراهيم بن محمد، عن معاوية بن عبد الله
بن جعفر، عن أبيه عن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله
ﷺ: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان، فقوموا ليلها وصوموا نهارها
فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا، فيقول: ألا من
مستغفر لي فأغفر له! ألا مسترزق فأرزقه! ألا مبتلى فأعافيه! ألا كذا
ألا كذا، حتى يطلع الفجر»^(١).

- عن عائشة، قالت: فقدت النبي ﷺ ذات ليلة، فخرجت أطلبه،
فإذا هو بالبقيع، رافع رأسه إلى السماء. فقال: يا عائشة! أكنت
تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟ قالت، قد قلت: وما بي ذلك.
ولكني ظننت أنك أتيت بعض نسائك فقال: «إن الله تعالى ينزل
ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد
شعر غنم كلب»^(٢).

صوم داود... ﷺ

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال له:
(أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام، وأحب الصيام إلى الله صيام داود،
وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوماً ويفطر يوماً)^(٣).

(١) سنن ابن ماجه ج١ ص٤٤٤ كتاب إقامة الصلاة والعنة فيها باب ما جاء في ليلة النصف من
شعبان، في الزوائد: الحديث الأول إسناده ضعيف لضعف ابن أبي يسره، واسمه: أبو بكر
بن عبد الله بن محمد بن أبي يسره، قال فيه أحمد بن حنبل وابن معين يضع الحديث.

(٢) الهامش السابق.

(٣) اللؤلؤ والمرجان ج٢ ص٢٣ كتاب الصيام باب بيان تفضيل صيام يوم وإفطار يوم، أخرجه
البخاري كتاب التهجيد. باب من نام عند المسحر.

- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:
(لا صام من صام الأبد) ^(١) متفق عليه.

وقد اختلف في معنى هذا الحديث، وقد فسر من وجهين ^(٢):

١- أنه على معنى الدعاء عليه جزاً له عن صنيعة، وقال ابن العربي:

إن كان دعا عليه فيا ويح من دعا عليه النبي ﷺ.

٢- أنه على سبيل الإخبار، أي أنه بمكابدة سورة الجوع ومر الظم
لاعتياده الصوم خفت عليه المشقة ولم يفتر إلى الصبر على
الجهد الذي يتعلق به الثواب فكانه لم يصم، ولم تحصل له
فضيلة الصوم، ويؤيد هذا المعنى ما رواه مسلم من حديث أبي
قتادة بلفظ «لا صام ولا أضر».

وقال ابن العربي أيضاً إن كان حديث الرسول ﷺ «لا صام من
صام الأبد» معناه الخبر، فيا ويح من أخبر عنه النبي ﷺ أنه لم يصم،
وإذا لم يصم شرعاً فكيف يكتب له ثواب؟

وقد ذكر الإمام الغزالي، درجات وأسرار الصوم وقسمها إلى
ثلاث، فقال ^(٣):

أما درجات مقداره فأقلها الاقتصار على شهر رمضان، وأعلىها
صوم داود ﷺ، وهو أن تصوم يوماً وتفطر يوماً، ففي الخبر الصحيح
أن ذلك أفضل من صوم الدهر، وأنه أفضل الصيام. وسره أن من صام
الدهر صار الصوم له عادة فلا يحس بوقوعه في نفسه بالانكسار،
وفي قلبه بالصفاء، وفي شهواته بالضعف، فإن النفس إنما تتأثر بما
يرد عليها لا بما مرت عليه فلا يبعد هذا، فإن الأطباء أيضاً ينهون
عن اعتياد شرب الدواء، وقالوا: من تعود ذلك لم ينتفع به إذا مرض إذ

(١) سبل السلام ج٢ ص٢٨١

(٢) لمرجع السابق ج٢ ص٦٨٢

(٣) لأربعين في أصول الدين ص٤٧.

يألفه مزاجه فلا يتأثر به.

وأعلم أن طب القلوب قريب من طب الأبدان، وهو سر قوله ﷺ
لعبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما كان يسأله عن الصوم، فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (صم يوماً واقطر يوماً) فقال: أريد أفضل من ذلك فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لا أفضل من ذلك) ولذلك لما قيل لرسول الله ﷺ إن فلاناً صام الدهر، فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
(لا صام ولا أظطر)

كما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لرجل كان يقرأ القرآن بهذر: إن هذا ما
قرأ القرآن ولا سكت.

وأما الدرجة المتوسطة - فهو أن تصوم ثلث الدهر، ومهما صمت
الاثني عشر والخميس وأضفت إليه رمضان، فقد صمت من السنة أربعة
أشهر وأربعة أيام، وهو زيادة على الثلث، لكن لا بد أن ينكسر يوم
من أيام التشريق وترجع الزيادة إلى ثلاثة أيام، ويتصور أن ينكسر
في العيدين يوماً فتكون ثلاثة أيام، فترجع الزيادة إلى يوم واحد
فتأمل حسابه تعرفه، فلا ينبغي أن ينقص من هذا القدر صومك فإنه
خفيف على النفس وثوابه جزيل.

كما ذكر الإمام الغزالي في الإحياء مزايا وعيوب صوم الدهر،
فقال من ناحية مزاياه إنه شامل لكل وزيادة، وأن من رأى صلاح
نفسه في صوم الدهر فيفعل ذلك، فقد فعله جماعة من الصحابة
والتابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أما عيوبه فتتصل في مخالفته للأحاديث النبوية
الشريفة التي تنهى عن صيام الدهر^(١).

ثم ذكر أن الصحيح هو أن صيام الدهر يكره لشيئين:
أحدهما: أن لا يفطر في العيدين وأيام التشريق فهو الدهر كله.
والآخر: أن يرغب عن السنة في الإفطار ويجعل الصوم حجراً على

(١) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٤٢٢.

نفسه ، مع أن الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه ، كما يحب أن تؤتى عزائمه ، فإذا لم يكن شيء من ذلك ورأى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك ، فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ثم تكلم الإمام الغزالي عن صوم نصف الدهر ، وقال :

إنه أشد على النفس وأقوى في قهرها ، وقد ورد في فضله أخبار كثيرة ،

لأن العبد فيه بين صوم يوم وشكر يوم ، فقد قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (الترمذي)

«عرضت على مفاتيح الدنيا وكنوز الأرض فرددتها وقلت أجوع يوماً

وأشبع يوماً أحمدك إذا شبعت وأتضرع إليك إذا جعت».

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «أفضل الصيام صوم أخي داود: كان يصوم يوماً ويفطر يوماً».

ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس بثلثه ، وهو أن يصوم

يوماً ويفطر يومين ، ولذا صام ثلاثة من أول الشهر وثلاثة من الوسط

وثلاثة في الآخر فهو ثلث.

وإذا ظهرت أوقات الفضيلة فالكمال في أن يفهم الإنسان معنى

الصوم ، وأن مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهم لله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والفقيه

بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله ، فقد يقتضي حاله دوام الصوم ،

وقد يقتضي دوام الفطر ، وقد يقتضي مزج الإفطار بالصوم. وإذا فهم

المعنى وتحقق حده في سلوك طرق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف

عليه صلاح قلبه ، وذلك لا يوجب ترتيباً مستمراً.

وقد كره العلماء أن يوالى بين الإفطار أكثر من أربعة أيام ،

تقديرًا بيوم العيد وأيام التشريق ، وذكروا أن ذلك يقسي القلب ،

ويولد ردي العادات ، ويفتح أبواب الشهوات. ولعمري هو كذلك في

حق أكثر الخلق ، لا سيما من يأكل في اليوم والليلة مرتين ، فهذا

ما أردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوع.

ليلة القدر.. وليلة الإسراء

عند الكلام عن شهر رمضان المبارك، شهر الصيام، والعبادة والمغفرة، يكون من الأهمية بمكان الكلام عن ليلة القدر وهي إحدى ليالي هذا الشهر الكريم، والتي يزيد فضلها على ألف شهر وقد وردت أحاديث نبوية عديدة عن ليلة القدر منها:

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ رأى ليلة القدر في المنام، في السبع الأواخر، فقال رسول الله ﷺ «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر»^(١).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يجاور^(٢) في العشر الأواخر من رمضان، ويقول: «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان»^(٣).

ليلة القدر.. ليلة شريفة مباركة.. من ليالي رمضان المبارك، قال عنها الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾^(٤).

وقال النبي ﷺ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٥).

(١) اللؤلؤ والمرجان ج ٢ ص ٢٤ كتاب الصيام باب فضل ليلة القدر. أخرجه البخاري في كتاب فضل ليلة القدر باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر.

(٢) أي: يمتكف.

(٣) المرجع السابق.

(٤) القدر / الآيات من ١ - ٣.

(٥) متفق عليه. أخرجه البخاري في باب قيام ليلة القدر من الإيمان من كتاب الإيمان. وفي باب فضل ليلة القدر من كتاب ليلة القدر ج ١ ص ١٥، ج ٢ ص ٥٩، ورواه مسلم في باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح من كتاب صلاة الصلوة من صحيح مسلم ١/ ٥٢٤.

ويروى عن ابن عباس^(١): إنما سميت ليلة القدر، لأنه يقدر فيها ما يكون في تلك السنة من خير ومصيبة ورزق وبركة، قال الله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ كَبِيرٍ ۝٤ ﴾^(٢) وسميها مباركة، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ۝١١ ﴾^(٤).

ليلة القدر العمل فيها من الصلاة والتلاوة والذكر، خير من أداء هذه الأعمال في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، فهي ليلة مباركة منيرة شرف الله نبيه وعظمه بالرسالة وأعلى منزلته، وارتفع بالإنسانية من الحضيض، إلى حيث النور والهدى، وأنقذها من ظلمات الجهل والوثنية، إلى سبيل العلم والتوحيد.....

وفي هذه الليلة المباركة نزلت إلى هذا العالم، أول آية من كتاب الله العزيز الذي جمع خير الإنسانية، وما تحتاجه البشرية الضالة التائهة.....

وكانت ليلة القدر - بحق - خيرًا من ألف شهر، إذ أنها ليلة نور وهدى، فهي خير من دهور تمضي في ضلال وظلام، وليست قيمة الأيام بساعاتها وإنما قيمة الأوقات بما يحدث فيها من خير للبشر، وسعادة للنفوس^(٥).

وقد أخفاها تعالى كما أخفى سائر الأشياء فإنه أخفى رضاه في الطاعات، حتى يرغب عباده في الكل، وأخفى غضبه في المعاصي ليحترزوا عن الكل، وأخفى الإجابة في الدعاء ليبالغوا في كل

(١) المعنى لابن قدامة ج ٤ ص ٤٤٧ . ٤٤٨.

(٢) الدخان/ ٤.

(٣) الدخان/ ٣.

(٤) البقرة/ ١٨٤.

(٥) الصيام في الإسلام. محمد محمود الصواف ص: ١٢٤.

الدعوات، فكذا أخفى هذه الليلة ليعظموا جميع ليالي رمضان^(١).
وقد وردت أحاديث عن رسول الله ﷺ، تبين أن ليلة القدر في الوتر
من العشر الأواخر من رمضان، لما روي أبو ذر قال، قلت: يا رسول
الله ليلة القدر رفعت مع الأنبياء، أو هي باقية إلى يوم القيامة؟ قال:
«باقية إلى يوم القيامة». قلت: في رمضان أو في غيره؟ فقال: «في
رمضان» فقلت: في العشر الأول، أو الثاني، أو الآخر؟ فقال: «في
العشر الآخر»^(٢).

كما روي عنه ﷺ: «التمسوها في العشر الأواخر في كل وتر»^(٣).
وقالت السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر
الأواخر من رمضان أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المنزر»^(٤)، وقالت:
وكان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها»^(٥).

فأما علامتها، فالمشهور فيها ما ذكره أبي بن كعب، عن النبي
ﷺ أن «الشمس تطلع من صبيحتها بيضاء لا شعاع لها»^(٦) وفي بعض

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي، والصيام في الإسلام - محمد محمود الصواف ص ١٢٧.

(٢) أخرجه البيهقي في باب الدليل على أنها في كل رمضان من كتاب الصيام. المنن الكبرى
٣٠٧/٤.

(٣) أخرجه البخاري في باب التماس ليلة القدر في المسبب الأواخر من كتاب ليلة القدر ج ٢
ص ٦٠.

(٤) أخرجه البخاري في باب العمل في العشر الأواخر من رمضان من كتاب ليلة القدر ج ٢
ص ٦١، ومسلم في باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان من كتاب الاعتكاف
ج ٢ ص ٨٢٢.

(٥) أخرجه مسلم، في باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان من كتاب الاعتكاف
ج ٢ ص ٨٢٢ وابن ماجه في باب فضل العشر الأواخر من شهر رمضان من كتاب الصيام،
سنن ابن ماجه ج ١ ص ٥٦٢، والإمام أحمد في المصنف ٨٢/٦، ٢٥٦.

(٦) رواه الترمذي في باب كما جاء في ليلة القدر من أبواب الصوم وفي باب من سورة القدر،
من أبواب التفسير ج ٤ ص ٩، ج ١٢ ص ٢٥٤.

الأحاديث: «بيضاء مثل الطست»^(١) وروي عن النبي ﷺ أنها: «ليلة بلجة سمحة»^(٢) لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها لا شعاع لها^(٣).

وقد تكلمت بشيء من الاستفاضة عن ليلة القدر، لأنها ليلة مباركة من شهر رمضان المعظم، وهو شهر جد وعمل وعبادة، وعلى المرء أن يتعلم الطاعة والصبر من هذا الشهر المبارك، ليستمر باقي العام طائعاً عابداً لربه، فحسن صيام المرء في ثلثي رمضان، وإقباله على تلاوة كتاب الله وذكره وحسن عبادته سيسهل عليه محاولة مصادفة ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان، وهي ليلة - كما سبق أن أسلفنا - خير من ألف شهر، أي أن من يحيي هذه الليلة فكانما أحيا أكثر من ٨٢ سنة كاملة وأكثر.

واختيار الله ﷻ لشهر رمضان - شهر الصيام - ليجعل إحدى لياليه خير من ألف شهر، يدعونا إلى الاهتمام بالصيام والإكثار منه على قدر الطاقة لأن فيه خيراً كثيراً وفوائد لا تحصى، ويكفي قول الله ﷻ في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به».

فمن صادفته ليلة القدر، عليه أن يدعو بالدعاء الذي ورد في الحديث الوارد عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله، أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر، ماذا أقول فيها؟ قال: «قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني»^(٤).

_____ (واختلف العلماء هل يقع الثواب المرتب لمن اتفق أنه وافقها ولم

(١) رواه أبو داود.

(٢) بلجة: أي مشرقة سمحة: أي سهلة.

(٣) مجمع الزوائد ١٧٨/٢، ١٧٩ هي باب في ليلة القدر من كتاب الصيام، الفتح الرباني ج ١

ص ٢٨٦

(٤) سبل السلام ج ٢، ص ٦٨٨، والحديث رواه الخمسة غير أبي داود.

يظهر له شيء أو يتوقف ذلك على كشفها؟ ذهب إلى الأول الطبري وابن العربي وآخرون، وإلى الثاني ذهب الأكترون، ويدل له ما وقع عند مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ «من يقيم ليلة القدر فيوافقها، قال النووي: أي يعلم أنها ليلة القدر، ويحتمل أن يراد يوافقها في نفس الأمر وإن لم يعلم هو ذلك، ورجع هذا المصنف فقال ولا أنكر حصول الثواب الجزيل لمن قام لابتغاء ليلة القدر وإن لم يوفق لها وإنما الكلام في حصول الثواب المعين الموعود له وهو مغفرة ما تقدم من ذنبه).

وقد ثار نقاش عن ليلتي القدر والإسراء وأيهما أفضل من الأخرى وقد سئل عن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، فأجاب إجابة طيبة فيها كثير من الفوائد، وفيها توضيح لكثير من المسائل التي تهتم كل من يبني العلم ومعرفة حقائق الأمور، فأجاب⁽¹⁾:

(الحمد لله، أما القائل بأن ليلة الإسراء أفضل من ليلة القدر إن أراد به أن تكون الليلة التي أسري فيها بالنبى ﷺ ونظائرها من كل عام أفضل لأمة محمد ﷺ من ليلة القدر بحيث يكون قيامها والدعاء فيها أفضل منه في ليلة القدر فهذا باطل لم يقله أحد من المسلمين وهو معلوم الفساد بالإطراد من دين الإسلام، هذا إذا كانت ليلة الإسراء تعرف عينها، فكيف ولم يقد دليل معلوم لا على شهرها ولا عشرها ولا على عينها، بل النقول في ذلك منقطعة مختلفة ليس فيها ما يقطع به ولا شرع للمسلمين تخصيص الليلة التي يظن أنها ليلة الإسراء بقيام ولا غيره بخلاف ليلة القدر فإنه قد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ، أنه قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

وفي الصحيحين عنه: «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد ج 1 ص 11.

رمضان وقد أخبر سبحانه أنها خير من ألف شهر فإنه أنزل فيها القرآن. وإن أراد أن الليلة المعينة التي أسري فيها بالنبي ﷺ وحصل له فيها ما لم يحصل له في غيرها من غير أن يشرع تخصيصها بقيام ولا عبادة فهذا صحيح، وليس إذا أعطى الله نبيه ﷺ فضيلة في مكان أو زمان يجب أن يكون ذلك الزمان والمكان أفضل من جميع الأمكنة والأزمنة، هذا إذا قدر أنه قام دليل على أن إنعام الله تعالى على نبيه ليلة الإسراء كان أعظم من إنعامه عليه بإنزال القرآن ليلة القدر، وغير ذلك من النعم التي أنعم عليه.

والكلام في مثل هذا يحتاج إلى علم بحقائق الأمور ومقادير النعم التي لا تعرف إلا بوحى ولا يجوز لأحد أن يتكلم فيها بلا علم، ولا يعرف عن أحد من المسلمين أنه جعل ليلة الإسراء فضيلة على غيرها لا سيما على ليلة القدر، ولا كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان يقصدون تخصيص ليلة الإسراء بأمر من الأمور ولا يذكرونها، ولهذا لا يعرف أي ليلة كانت، وإن كان الإسراء من أعظم فضائله ﷺ ومع هذا فلم يشرع تخصيص ذلك الزمان ولا ذلك المكان بعبادة شرعية بل غار حراء الذي ابتدئ فيه بنزول الوحي وكان يتحراه قبل النبوة لم يقصده وهو ولا أحد من أصحابه بعد النبوة مدة مقامه بمكة، ولا خص اليوم الذي أنزل فيه الوحي بعبادة ولا غيرها، ولا خص المكان الذي ابتدئ فيه بالوحي ولا الزمان بشيء.

ومن خص الأمكنة والأزمنة من عنده بعبادات لأجل هذا، وأمثاله، كان من جنس أهل الكتاب الذين جعلوا زمان وأحوال المسيح مواسم وعبادات كيوم الميلاد ويوم التعميد وغير ذلك من أحواله.

وقد رأى عمر بن الخطاب جماعة يتبادرون مكاناً يصلون فيه فقال: ما هذا؟ قالوا: مكان صلى فيه رسول الله ﷺ. فقال: أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد؟ إنما هلك من كان قبلكم بهذا،

فمن أدركته فيه الصلاة فليصل وإلا فليمض. وقد قال بعض الناس إن ليلة الإسراء في حق النبي ﷺ أفضل من ليلة القدر وليلة القدر بالنسبة إلى الأمة أفضل من ليلة الإسراء فهذه الليلة هي حق الأمة أفضل لهم، وليلة الإسراء هي حق رسول الله ﷺ أفضل.